الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
الرقم الترتيبي : ..... / 2008 م
رقم تسجيل الطالب : ..... / .....

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم : الكتاب والسنة

علم الغريب في تفسير الإمام الشوكاني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتفسير

إعداد الطالب :
عباس منصر

إشراف الأستاذ الدكتور :
رابح دوب

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
الدكتورة : صونيا وافق	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة -	عضوا ورئيسا
الدكتور : رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	مشرفا ومقررا
الدكتور : رمضان بخلف	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة -	عضوا
الدكتور : هلال حزاري	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة -	عضوا

السنة الجامعية : 1428 / 1429 هـ . 2007 / 2008 م

مُلخّص البحث

ملخص البحث:

إن علم التفسير علم جليل القدر كبير الشأن وهذا لتعلقه بكتاب الله تعالى ، فموضوعه كلام الله تعالى، وغايته بيان مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية .

ولابد أن تتوفر جملة شروط في المفسر ذكرها أهل العلم في بطون كتبهم، ولعلى من أهم هذه الوسائل الإحاطة بالعلوم اللغوية ومعرفتها والدراية اللازمة بها ،ومن أهم هذه العلوم : العلوم اللفظية التي تهتم ببيان معاني الكلمات حال الإفراد أولا ثم حال التركيب .

لأجل هذا اخترت موضوع العلوم اللفظية و قصرت نظري على أحد علوم القرآن المتعلقة بهذا الشأن فوقع اختياري على علم الغريب لأدرسه دراسة تفسيرية مبرزا أهميته في التفسير ومبينا حاجة المفسر الماسة إليه .

إنّ علم الغريب نقطة تلاقي بين أهل التفسير وأهل اللغة ، فلو تتّبعنا ذلك لوجدنا كبار أئمة اللغة ألفوا فيه وجهابذة المفسرين كذلك ، وقد تظافرت جهود الفريقين فتبلور هذا العلم كعلم مُستقلّ عن علوم القرآن الأخرى ، وقد ارتبط تطوّر هذا العلم بحركة جمع اللغة وشرح غريبها وطرح اللّحن عن الناطقين بها .

والإمام الشوكاني رحمه الله نهج منهجا فريدا في علم الغريب ، ويقصد بالغريب رحمه الله : شرح الكلمات التي لها أثر في معنى الآية ولها أهمية وثمرة في التفسير ، وهو لا يشرح الكلمة الظاهرة المعنى الواضحة الدلالة التي لا يعذر أحد بجهلها ، وإنّما يفسّر الكلمة التي تستأهل الشرح دون تكرير لشرحها، وإنّما يحيل إلى مواضع سابقة قد فسّرها فيها . وهذا الصنيع شبيه بصنيع ابن قتيبة في غريبه .

وقد اعتنى الإمام الشوكاني كثيرا بالأوجه اللغوية ، ومعاني الكلمات حال الإفراد وحال التركيب وكذا ساعده في ذلك ضلوعه في علم الاشتقاق ، وقد وظّف هذا العلم كثيرا في تفسير الكلمات الغريبة وشرح غموضها واستغلاقها .

لم ينح الإمام الشوكاني منحى اللغويين المجرّد البعيد عن المقصود في التفسير وهو هداية النّاس وبيان مراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية ؛ وإنّما أضاف إلى علم الغريب شيء من علم الأصول وأضاف إليه قواعد عامة في الشريعة ، لذلك نتج منهجه في تفسير الغريب ومن أهم ميزات هذا المنهج ما يلي :

1- تقديمه للتفسير النبوي إنْ ثبت على غيره في تفسير الغريب .

2- تقديمه للحقيقة الشرعية على الحقيقة اللّغوية إذا لم ترد قرينة تُعارض ذلك .

3- تثبت الإمام الشوكاني في تفسير الغريب ، فلا يقبل إلاّ ما ثبت نقله عن العرب .

4- له موقف من تفسير الصحابة للغريب : فإذا كان اللفظ الذي فسّره الصحابي من الاصطلاحات الشرعية قدّمه على المعنى العربي ، أمّا إذا كان اللفظ أوسع مما فسّره الصحابي ففي هذه الحالة يرى الشوكاني ضرورة إضافة المعاني التي تقتضيها لغة العرب ، وهو بهذا يستوي مع أهل العربية في عربيته ، أمّا إذا اختلفت الروايات عن الصحابة في تفسير الغريب أو كان مستند الصحابي في تفسيره أهل الكتاب قدّم الشوكاني المعنى العربي عن تفسير الصحابي .

5- أمّا منهج الشوكاني النّحوي ، فهو يميل إلى الاختصار ، فيذكر الوجه النحوي الظاهر ولا يحشو تفسيره بآراء النّحاة المعقدة والمتشعّبة والتي لا ثمرة لها في التفسير ، لذلك تراه يحيل إلى كتب النحاة ومصنّفات علم الإعراب .

6- وأمّا موقفه من المجاز في القرآن ، فالإمام الشوكاني من المعتدلين في القول بالمجاز في القرآن الكريم لا من المتوسّعين ولا من المضيّقين المنكرين له بالكليّة ، يقول به عند القرينة القوّية وينفيه عند التّكلّف والتّعسّف .

لقد رسم الشوكاني وأصّل جملة من القواعد في تفسير الغريب وسار عليها وطبّقها في تفسير الكلمات القرآنية الغريبة فمن القواعد المتعلّقة بالغريب :

1- إذا احتمل اللفظ عدّة معاني و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليه .

2- استبعاد التكرار في التعامل مع المفردات القرآنية ما أمكن .

3- التّأسيس أفضل من التأكيد والإفادة خير من الإعادة .

4- التعبير باللّازم مكان الملزوم .

5- ضرورة حمل معاني الكلمات القرآنية على المشهور المستفيض من كلام العرب لا القليل النادر الشّاذ .

6- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

7- الكلمات المشتملة على جميع المعاني .

8- لغة القرآن جاءت على ما يوافق سنن العرب في كلامها .

9- لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث .

10- نزول القرآن على لغة أهل الحجاز في الغالب .

11- وضع الظاهر موضع المضمر لايكون إلاّ لنكتة .

ولقد بناء الإمام الشوكاني اختياراته في الغريب على هذه القواعد التي قعّدها وأصّلها وسار عليها في تفسير الغريب ، فهو لا يختار إلاّ المعنى القوي بالرجوع إلى أصل الاستعمال في الوضع العربي ، كما أنّه يختار ما كان أنسب بالمقام وألصق بمعنى الآية ،بالإضافة إلى ذلك فهو يختار المعنى الأظهر في اللغة والمشهور في كلام العرب .

لقد اعتمد الإمام الشوكاني على مجموعة من المصادر المتنوّعة في تفسير الغريب :

أولاً : كتب الغريب. وهي المصادر المؤلفة في إعراب القرآن ومعانيه بمفهوم المتقدّمين ، وهذه الكتب على صنفين : منها ما هو مرتّب على حسب السور ، ومنها ما هو مرتّب على ترتيب الهجاء .

ثانيا : المعاجم اللغوية. وهي الكتب التي تعنى بجمع المواد اللغوية وترتيبها وفق نسق معيّن ، وهذه الكتب اللغوية التي اعتمدها الشوكاني في تفسير الغريب تنتمي إلى مدارس متعدّدة بحسب ترتيبها وطرق جمعها للمواد اللّغوية ، فمنها مدرسة الخليل ــ ومدرسة البرمكي ــ ومدرسة الجوهري ــ ومدرسة أبو عبيد .

ثالثا : التفاسير اللّغوية. وهي كتب التفسير التي تُعنى بالجوانب اللّغوية كتفسير الطبري وتفسير القرطبي وتفسير الزمخشري وتفسير الرازي وغيرها من التفاسير الأخرى ، وهذه التفاسير تختلف مناهجها واتجاهات تفسيرها ، فمنها الأثرية ومنها العقدية ومنها الفقهية ومنها اللّغوية ، ومن هنا يأتي ثراء تفسير الإمام الشوكاني وإحتوائه لفوائد ودرر التفاسير التي قبله خاصّة في المجال اللّغوي وتفسير الغريب .

وتكمن أهمية علم الغريب في تفسير الإمام الشوكاني في جوانب تفسيرية عدّة ، فبعد إسقاط وتطبيق هذا العلم على الحقل القرآني تبرز أهمية هذا العلم فيما يلي :

ــ في التفسير بالمأثور : وذلك في تصحيح روايات ضعيفة لموافقتها للمعنى العربي ، أو تضعيف أخرى لمخالفتها لمقتضي لغة القرآن الكريم .

ــ في التفسير الفقهي : وذلك من خلال الترجيح بين المذاهب الفقهية بالرّجوع للغة العربية ، أو استنباط أحكام فقهية بالنّظر إلى قرائن لغوية ، أو التحاكم إلى اللغة للخروج من الخلاف الفقهي .

ملخص البحث:

ـــ في التفسير العقدي : وذلك من خلال ردّ العقائد الزائفة بالرّجوع للغة القرآن الكريم ، أو إثبات العقيدة الصحيحة والاحتجاج لها من لغة العرب .

ـــ في توجيه القراءات : وذلك من خلال الاستشهاد لصحة معاني القراءات المتواترة من فصيح كلام العرب ، وتوجيه كل قراءة حتّى الشاذة منها بحسب كلّ معنى في الكلمة الغربية وكما يقال زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني .

ويظهر من خلال هذه الأهمية القصوى لعلم الغريب أنّ علم الغريب ضروري فيمن يتصدّى لتفسير كلام الله تعالى ، فمهما كانت نزعة المفسّر التفسيرية فلا مفرّ أمامه إلاّ التّمكّن من هذا العلم الذي هو من وسائل استمداد التفسير ومن ركائزه الأساسية .

ويظهر من خلال البحث أنّ الإمام الشوكاني بحق اتّبع المنهج الوسطي في التفسير بين التفسير بالمأثور من جهة وبين التفسير اللّغوي ـــ من خلال تناوله للغريب ـــ من جهة ثانية ، فهو متثبّت في التفسير اللّغوي متحرّ الصحيح في التفسير الأثري ، وهو بذلك ينحو منحى أبا المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله .